قضايا ثقافية

مفهوم السعادة

عناصر الوجود الضرورية لبقاء الانسان ـ هي لا تتبدل او تتحول لانها عناصر حيادية، تهب الانسان دون وعي منه. تهبه أو تعطيه طاقة الحياة الممزوجة بما اصطلح على تسميته هواء، ماء... الخ.

فالسعادة الكامنة في الطبيعة لا تتغير، لكن قد تتاثر بما ينتجه الانسان او يخلفه. وذلك في سبيل التطور وقد يكون في سبيل غايات انانية بحتة.

فالسعادة في الطبيعة، سعادة لا واعية يجب على الانسان ان يبادر الى توعيتها، عبر الاعتناء بكل المخلوقات والموجودات... فعنصر النبات يضفي على النظر ابهى حلل الفرح والسعادة، فالصورة تبدأ ذكرى ولا تنتهي الا اذا اراد الانسان ان يعكر جمالها. فالجمال روح السعادة... التي تنطبع في الوجوه.. فالبسمة من ثغر حبيب... تشق حجب كل الهموم والمعانات والآلام... وتغرس «بيرقاء على سفح قلب امرؤ بحاجة الى عنوان. فيأتي العنوان السعادة. هل سمعت انشودة موجة بحر تسابق رفيقاتها الى الشاطىء... ترنم، تغرد، تصدح في آذان كاتب، وفيلسوف، او شاعر وموسيقار... وتعطي الموسيقار لحنا يزيد من عدد السعداء.

هل ركضت وراء طير يغرد فوق ساقية تجرف اوراقا بكل الوان الطبيعة... فرزية الالوان مجتمعة تكون قوس قزح ابيض... يساوي «سعادة» تشرق مع شروق كل شمس... تكلل نهارنا بالخير.

هل زرت نجمة حسبتها تائهة في هذا الجو المظلم عند المساء! عندما تزورها لن ترى هذا الظلام الذي يطل «بـ» مساء... فالسعادة ترافق هذه النجمة حتى لا ينتهي عمر الكون ويضمحل الزمان... فالسعادة ظل يرافق النجوم... لكن لونه «ابيض». هل قرأت كتابا، واحسست ان صاحبه لا ينام؟ يقف بجانب الكلمة التي تتربع على عرش العطاء! فالكلمة ملكة ترجها الاله بحكمته... ووضع فيها نبعا لا ينضب... يطل من فوق... ينشر رذاذه... يمطرنا... يبلل الامنا. فكل قطرة من ينبوعه هي نواة خلية تترمح نورا براقا، مدموغا بكلمة سعادة.

لكن... هل نحن نعيش في سعادة...

انت ترى ولد لم يتجاوز السابعة من عمره... تراه كئيبا يائسا... ترتسم على وجهه تعابير المعانات، والعذابات وكل هموم الارض، هو لا يدري عن حالته شيئا، هو لا يعرف معنى السعادة، الا من خلال دمية تقدمها له.. او تفرحه بقطعة حلوى، يشعر خلالها بسعادة، تبقى مؤقتة. ونطرح بدورنا السؤال: هذا الصبي الذي لم يذق طعم الالم والمعانات والعذاب، ولم يحن له ان يتحمل المسؤوليات... ولم يجذف بعكس تيار ما... وبالتالي هو لا يعرف معنى او اسما او صفة تدعى سعادة! فكيف ذلك؟ بينما ترى اخاه البالغ من العمر تسع سنوات يختلف كل الاختلاف عن تصرفات اخيه، وايضا دون ان يعرف او يعي كل المعاني... وهل سعادة الانسان الراشد الواعي مكتملة... ففي الانسان كيان جسدي وكيان نفسي، وصلة اجتماعية وفيه طاقة روحية كفيلة بتحقيق المعجزات لكنها مكبلة بسلبيات الكائن البشري.

وبما يجب معالجته للسعادة الارضية ترتكز على ثلاثة محاور في الانسان: الجسد المادي / فيسيولوجي النفسي / سيكولوجي الاجتماعي / سوسيولوجي وهذه الكيانات الثلاث تتأثر مباشرة بما

يلي ـ صفحة ـ عمل ـ محبة

وهل منا من يمتلك هذه الركائز؟

قد تكون المحبة عندك حكيمة، صادقة، شاملة... وقد تكون صحتك بحالة جيدة... وقد يكون العمل ايضا يسعدك. لكن الشك يساورني، بان احد ما يتمتع بربط هذا المثلث... فاكيد هو يمتلك السعادة وملكها. واذا نقص بندا واحدا من البنود الثلاث الاتكون السعادة غير مكتملة... وهذه مشكلة اليوم. لكن هل يترك الانسان مشكلة ما تتحكم به... بل ينطلق الى الحل... فينشط احد اركان العقل الذي هو الفكر... فيحلل، ويميز... فيستنتج فاذا به فرحا سعيدا لانه اخذ الامل طاقة ستوف يحولها الى عمل. فيامل هذا الانسان بما يريده وضمن حرية اختياره وحسب غاياته وميوله.. لكن يعتمد دائما على الحل الايجابي. وهل يعقل ان تتحقق كل الاماني ـ والآمال «بكبسة زر»؟ هل يقارن العارف باهواء الجاهل؟ هل يحقق الانسان كل ما يرنو اليه؟ فيمسك السعادة ولا يدعها تفارقه؟ فدرب السعادة ليست الوصول ولا بلوغ القمة، بل هي قهر دائم للظروف هي تعبير كل الطرق... وبكل المارة. هي «تشحيل» او تشذيب الاغصان الضارة في تهذيب النفس البشرية من مسببات الالام والمعانات والجهل. فالصفات السلبية في الانسان قد تجعله سعيدا! لكن على حساب الاخرين.

فكل عمل سلبي يؤثر على السعادة. فنسبة التمتع بالسعادة لدى كل فرد هي بحسب مستوى وعيه... فالوعي الايجابي... زكيرته المحبة والفكر السامي وهذان العنصران يولدان سعادة دائمة مقرونة بحكمة واعية، لا تهدر شيء على حساب شيء اخر! بل تعطيك كلمة سر هامة وهي: سر التحول.

فالتحول هو تلك البذرة التي تصبح شجرة تحمل الثمر... التحول هو تلك الفراشة التي تسعى الى النور... لا لتحترق. بل لتندمج به. بعد ذلك التحول الذي خضعت له...

السعادة... وجه ام انعكست اساريره، بأن لامست عيني طفلها النهد...

السعادة هي موت عاشق... قد مات في حبيبته...

السعادة هي الكرة الارضية... تضج بفرح الوعي العام وسعادة الانطلاق للاندماج بكوكب النور.

ايلي ابو سمره